«التيكتوكر» نتنياهو وبايدن بائع العلكة

أحمد عمر

يقول أولو النظر والألباب في علوم السياسة والمُلك، وهم صائبون في قولهم، «إنّ» الدكتاتورية مثل الدرّاجة، إن «كفّ» الدرّاج عن تبديل ناعورة البدّال بقدميه سقط، والناعور ناعورة دم، وأظن (وبعض الظنّ يقين) «أنّ» الديمقراطية الإسرائيلية مثل الدرّاجة أيضاً، إن توقّف الدرّاج عن القتل سقط سقوطاً حرّاً لا تدرّج فيه.

وقد بالغ الإعلامان العربي والعالمي في إهانتها وإشغالنا بخبر توبيخ «البطّة العرجاء» بنيامين نتنياهو (وربّما على طريقة أكركوز)، وأنّه علا صوته عليه (بايدن هو الذي علا صوته وليس نتنياهو)، لكنّ السند ضعيف، وناقل الخبر غير عدول، والأغلب أنّه كان يرجوه ويتضرّع إليه ويستميله ويسترضيه، ويصنع له خفّاً من قصب، فائلاً: أرجوك، أبوس يدك يا بيبي، أنت تحرجني أمام أمّتي الأميركية، وأمّتي العالمية، وقد جعلت رقبتي كالسمسمة، ووجهي كحجر الأثفية. لقد صرتُ بسببك علكةً في الأفواه، سيطلقون عليَّ بدلاً من لقب «البطة العرجاء» لقبَ قاتل الأطفال والنساء، وعندليب الحرب، وأرى أن تلين، ونطبّق الخطّة التي اقترحها، والتي طار ذكرها في الآفاق، وتصير بشهرة «وديعة رابين»، فترفع من حظوظ مرشّحة حزبي كامالا هاريس، وتنقذ ماء وجهي الذي جفّ، وتحسّن صورتي السياسية، وتجعلها بالألوان في أيّامي الأخيرة، وتمنحني نصراً سياسياً، ونعمل انتخابات ديمقراطية، ونهزم دونالد ترامب، ونُعلن الأفراح والليالي الملاح، ونلتقط الصورَ التذكارية، ثمّ تعود بعدها إلى عادتك القديمة يا «Predator»، وتفعل بالفلسطينيين ما تريد، وقد حنثنا بعهودٍ كثيرة، ليس أوّلها مع الهنود الحمر، وليس آخرها معاهدة السلام، ووعد الدولة الفلسطينية يا كمّون، ويمكن أن نخون العهد الذي سنتعهّده بعد شهر، وسنعثر على سببٍ لخرقه وللحنث به. يمكن أن نكلّف أحداً من عملائنا بقذف صاروخ، أو إرسال طائرةٍ مسيَّرةٍ من غزّة أو من معالبه أدوميم، فنحن القضاة ونحن الضحايا، ونُعلن الحربَ، لكن بعد الانتخابات يا «بيبي» نعيد بعد الحنث والنكث والغدر تصوير فيلم «Unforgiven»، أو فيلم «The Terminator»، أو فيلم «My Name is Nobody»، أو فيلم «Psycho»، تعثر بعدها على «مكان تحت الشمس»، بل «فوق الشمس» إن شئت، وتصير فلسطين وراء الشمس والقمر.

وقد سألني صديق عن تفسير سهل ميسور لتدلّل إسرائيل هذا الدلال كلّه، على ساسة أميركا وملوك أميركا، يقول عزيز نيسين، في قصّة «ملك السمار»، إنّ أميركا دولة ملكية، وفيها ملوك كُثر، وله أدلّة على ذلك (وديمقراطيتها عجيبة وغريبة)، فقلت إنّ إسرائيل «بنت الوليد»، هي سيف أميركا المسلول، سلّته أميركا على العرب، فأعجبه الوصف، وقال لي هات بوسة، هو يبوس من يفسّر له شيئاً غامضاً، لكن «بيبي» ضرب بتوسّلات بايدن عُرْضَ الحائط وطوله، ولم تُهن له عريكةٌ ولم تُسلق له فريكةٌ، ولم تلن له قناةٌ، ولم يقبل بتضرّعات بايدن كلّها، إن قبل باقتراحه سيكون إعلانَ هزيمةٍ. «إنّ» نتنياهو وبايدن يؤدّيان كلّ يوم مشهد بائعي العلكة في باصات «الهوب هوب» السورية أيّام زمان، وهما يدخلان من بابين: الخلفي والأمامي، ثمّ يتخاصمان ويوشكان على العراك للفوز بالزبون، واحتكار رُبُن الباص، فيتدخّل الرُّبُن شفقةً عليهما، ويشترون بضاعتهما، وهي العلكة، والعلكة «إيزو» صناعة أميركية، صنعت من أجل تصريف الغضب، والأميركان يصرّفون الغضب بالنبوب والضروس، ولحناً وهرساً.

وبعد قبلة الصديق جائزةً على شرحي ومتحي وإبساسي، وإنّ بايدن ونتنياهو يُؤدّيان مشهد بيع العلكة أداءً رديئاً، لأنّه خبر منقول، لا مشهد مبصور، ولو كان مرئياً لآنسنا وتسلّينا وشمتنا بنتنياهو وصاحبه. وقلت إنّ نتنياهو ممثّل جيّد يُشبه نجوم «التيكتوكر»، الذين يُؤدّون مشهداً واحداً، مثل مشهد الشجرة المتحرّكة، أو مشهد التمثال البشري، وهو شائع في «تيك توك»، أو مشهد وضع علبةٍ أو كرتونةٍ أو خيمةٍ على رأس الضحية لإضحاك الناس، أو مشهد قذف الناس بمسدّسات الماء من وراء حجاب، وإنّ مسرحية نتنياهو «التيكتوكر» الوحيدة هي القتل والتدمير، فهو يقتل الأطفال ويدمّر المستشفياتِ والمدارسَ ويزعم «أنّ» بها مُخَرّبين، لغاية جمع الـ«لايكات» السياسية في إسرائيل وأميركا، وانتظار المهدي المُنتظر ترامب.

فريدا كاهلو وحلم الأجنحة

عبد الحكيم حيدر

بالعشق تنبت للروح أجنحةٌ، حينما تكون الروح حرّةً وطليقةً، وكم تمنّت فريدا كاهلو أن تنبت لها أجنحةٌ، وفي الغناء الشعبي الصعيدي يقول المُغنّي، وهو في ظلال واحة أشجاره وأحزانه، «أمانة يا طير أعطيني جناحيك». ويقول بيرترام دي وولفي، كاتب سيرة زوجها ديبغو ريفيرا: «الرسم يعيد إلى ذاكرتنا الزمن الذي كان فيه أبواها يلبسانها ثوباً أبيض وجناحين كي يجعلاها تأخذ هيئةَ ملاك. الجناحان سبّبا لها تعاسةً كُبرى لأنّها لا تطير»، ولكن فريدا، بهمّة العشق رغم كسور عظام الجسم، استطاعت أن تأخذ من الطيور أجنحتها، ومن العشّاق عطور أرواحهم، وحلّقت في سماوات فنّ المكسيك وأساطيره وألوانه الزاهية وريش طيوره، حتى آخر ظهور لها من فوق سريرها، وكانت تقول عن نفسها: «لماذا أحتاج إلى قدمين، وأنا لديّ جناحان لأطير بهما». هي الشغوف باللون والأثواب الطويلة الزاهية، التي تطاول الأرض أحياناً، وهي التي اخترعت لنفسها صديقةً مثيْلَةً، وهي طفلةٌ، وهي أبنة مصوّر ورسّام هاو، وهو المهاجر الألماني، الذي لا أصول يهودية، القادم من هنغاريا.

الفنّ شيطان مُحبّب في العالم يصل شرق البلاد بغربها، وحضارة الشرق بحضارة المايا والآزتك، وكان زوجها ديبغو ريفيرا يقول عنها: «إنّ فريدا شيء من الشيطان»، عاش هذا الشيطان الشعبي الجميل في كنف نظريات أندريه بريتون بالألوان في أيّامي الأخيرة، وتمنّحني نصراً سياسياً، ونعمل انتخابات ديمقراطية، ونهزم دونالد ترامب، ونُعلن الأفراح والليالي الملاح، ونلتقط الصورَ التذكارية، ثمّ تعود بعدها إلى عادتك القديمة يا «Predator»، وتفعل بالفلسطينيين ما تريد، وقد حنثنا بعهودٍ كثيرة، ليس أوّلها مع الهنود الحمر، وليس آخرها معاهدة السلام، ووعد الدولة الفلسطينية يا كمّون، ويمكن أن نخون العهد الذي سنتعهّده بعد شهر، وسنعثر على سببٍ لخرقه وللحنث به. يمكن أن نكلّف أحداً من عملائنا بقذف صاروخ، أو إرسال طائرةٍ مسيَّرةٍ من غزّة أو من معاليه أدوميم، فنحن القضاة ونحن الضحايا، ونُعلن الحربَ، لكن بعد الانتخابات يا «بيبي» نعيد بعد الحنث والنكث والغدر تصوير فيلم «Unforgiven»، أو فيلم «The Terminator»، أو فيلم «My Name is Nobody»، أو فيلم «Psycho»، تعثر بعدها على «مكان تحت الشمس»، بل «فوق الشمس» إن شئت، وتصير فلسطين وراء الشمس والقمر.

وقد سألني صديق عن تفسير سهل ميسور لتدلّل إسرائيل هذا الدلال كلّه، على ساسة أميركا وملوك أميركا، يقول عزيز نيسين، في قصّة «ملك السمار»، إنّ أميركا دولة ملكية، وفيها ملوك كُثر، وله أدلّة على ذلك (وديمقراطيتها عجيبة وغريبة)، فقلت إنّ إسرائيل «بنت الوليد»، هي سيف أميركا المسلول، سلّته أميركا على العرب، فأعجبه الوصف، وقال لي هات بوسة، هو يبوس من يفسّر له شيئاً غامضاً، لكن «بيبي» ضرب بتوسّلات بايدن عُرْضَ الحائط وطوله، ولم تُهن له عريكةٌ ولم تُسلق له فريكةٌ، ولم تلن له قناةٌ، ولم يقبل بتضرّعات بايدن كلّها، إن قبل باقتراحه سيكون إعلانَ هزيمةٍ. «إنّ» نتنياهو وبايدن يؤدّيان كلّ يوم مشهد بائعي العلكة في باصات «الهوب هوب» السورية أيّام زمان، وهما يدخلان من بابين: الخلفي والأمامي، ثمّ يتخاصمان ويوشكان على العراك للفوز بالزبون، واحتكار رُبُن الباص، فيتدخّل الرُّبُن شفقةً عليهما، ويشترون بضاعتهما، وهي العلكة، والعلكة «إيزو» صناعة أميركية، صنعت من أجل تصريف الغضب، والأميركان يصرّفون الغضب بالنبوب والضروس، ولحناً وهرساً.

وبعد قبلة الصديق جائزةً على شرحي ومتحي وإبساسي، وإنّ بايدن ونتنياهو يُؤدّيان مشهد بيع العلكة أداءً رديئاً، لأنّه خبر منقول، لا مشهد مبصور، ولو كان مرئياً لآنسنا وتسلّينا وشمتنا بنتنياهو وصاحبه. وقلت إنّ نتنياهو ممثّل جيّد يُشبه نجوم «التيكتوكر»، الذين يُؤدّون مشهداً واحداً، مثل مشهد الشجرة المتحرّكة، أو مشهد التمثال البشري، وهو شائع في «تيك توك»، أو مشهد وضع علبةٍ أو كرتونةٍ أو خيمةٍ على رأس الضحية لإضحاك الناس، أو مشهد قذف الناس بمسدّسات الماء من وراء حجاب، وإنّ مسرحية نتنياهو «التيكتوكر» الوحيدة هي القتل والتدمير، فهو يقتل الأطفال ويدمّر المستشفياتِ والمدارسَ ويزعم «أنّ» بها مُخَرّبين، لغاية جمع الـ«لايكات» السياسية في إسرائيل وأميركا، وانتظار المهدي المُنتظر ترامب.

نرجسية إسرائيلية وخداع أميركي وهشاشة فلسطينية

طلال أبو ركبة

باتت المواقف أكثر وضوحاً في التعاطي مع حرب الإبادة الإسرائيلية المستمرّة والمتواصلة في قطاع غزّة، التي تستهدف بالأساس تصفية القضية الفلسطينية وحسم مسألة الصراع الفلسطيني الإسرائيلي مرّةً واحدة. وتسعى إسرائيل بشكل واضح إلى الاستثمار في «7 أكتوبر»، باعتباره فرصةً سانحةً لتصحيح أخطاء الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، التي لم تنجح في حسم الصراع وإنهاء المسألة الفلسطينية، وخصوصاً حكومات بيغين بن غوريون التي لم تستكمل عمليات طرد ومحو وإزالة السكّان الفلسطينيين، خلال نكبة مايو/ أيّار العام 1948. وكذلك حكومة ليفي أشكول، الذي لم يُصحّح «الخطأ» في حرب الأيّام الستّة (يونيو/ حزيران 1967).

يتزعّم اليمين الصهيوني المتطرّف، بقيادة رئيس الوزراء الحالي بنيامين نتنياهو، خيار حسم الصراع بدلاً من إدارة الصراع الذي هيمن على العقل السياسي الإسرائيلي طوال السنوات الماضية، هذا الحسم الذي لن يتأتّى إلا بإخضاع الحياة لقوّة الموت في الأراضي الفلسطينية، وإيجاد بيئات طاردة للحياة، تدفع الفلسطيني قسراً أو طواعيةً إلى الهجرة خارج الأراضي الفلسطينية. لطالما اعتبر الفلسطينيون أنّ تعزيز وجودهم في الأرض، والحفاظ على بقائهم، هو جوهر إدامة القضيّة الفلسطينية حيّةً، الأمر الذي دفعهم، على اختلاف مشاربهم، إلى ابتكار الأدوات كافّة لتعزيز صمودهم في الأراضي المحتلّة، وإفشال المخطّطات والسياسات الإسرائيلية السابقة، التي حاولت إنهاء المسألة الفلسطينية، فنجحت الجهود الفلسطينية سابقاً في التصدّي لاستراتيجيات الجسور المفتوحة التي ابتدعها مناحيم بيغن لتشويه الهُوِيّة الفلسطينية في سبعينيّات القرن الماضي، كما أفشلوا فكرة روابط القرى في الضفّة الغربية نهاية تلك الحقبة، وقد عمدت إسرائيل من خلالها إلى ضرب بنية التمثيل الفلسطيني (منظّمة التحرير الفلسطينية)، كما نجح الصمود الفلسطيني في مواجهة سياسات الأسرلة والتهويد التي تحاول إسرائيل تكريسها في القدس الشرقية وضواحيها، إضافةً إلى سياسة التمايز والفصل عبر «الكانتونات» المنفصلة والمفصولة «زمكانياً»، التي تعمل على تكريسها في الضفّة الغربية، إضافةً إلى محاولتها فصل قطاع غزّة عن الضفّة الغربية، وإخراج غزّة من السياق الوطني، لضرب الكيانية الفلسطينية المتمثّلة في وحدة مصير الأراضي الفلسطينية في الضفّة (بما فيها القدس) وغزّة.

جاءت تلك المحاولات من الحكومات الإسرائيلية السابقة في ضوء هيمنة فكرة إدارة الصراع على العقل السياسي الإسرائيلي، الذي كان يذهب إلى التعاطي مع الفلسطينيين من منظور الحقوق الاقتصادية، بعيداً من حقوقهم السياسية والمدنية، وجميعها فشلت أمام الصمود الوطني الفلسطيني. تنطلق حكومة اليمين المُتطرّف في إسرائيل من منظور مختلف للصراع الفلسطيني الإسرائيلي، وهو المنظور القائم على فكرة حسم الصراع، وترى في أحداث «7 أكتوبر» فرصةً قد لا تتكرّر لشرعنة أهدافها ومخطّطاتها التصفوية للقضية الفلسطينية، مستفيدةً من الضوء الأخضر الممنوح أميركياً وغربياً لـ«حقّ إسرائيل في الدفاع عن نفسها»، عقب اللطمة الكُبرى التي وجّهتها لها فصائل المقاومة في قطاع غزّة. ذهبت إسرائيل إلى الاستثمار في التهديد الوجودي الذي شكّله لها القطاع، من خلال جملة ممارسات إسرائيلية في الأرض تهدف، في الأساس، إلى استكمال عمليات الطرد والتهجير للشعب الفلسطيني، باعتبار أنّ النكبة ليست مُجرّد حدثٍ انتهى، بقدر ما هي عملية مستمرّة ومتواصلة في العقل الإسرائيلي، وهو هي الفرصة المواتية لشرعنة استمرارها أمام المجتمع الدولي.

وبينما تواصل إسرائيل إبادتها أشكال الحياة كافّة في قطاع غزّة، وتحاول نقلها إلى الضفّة الغربية، وتحديداً إلى شمالها؛ جنين ونابلس وطولكرم، تمارس الولايات المتّحدة، بقيادة الرئيس بايدن، ووزير خارجيته أنتوني بلينكن، الخداع الاستراتيجي مع دول العالم كلّها، فعمدت إلى التسويف والمماطلة وشراء الوقت، لتواصل إسرائيل إشعال نيران محرقتها في جسد كل طفل وامرأة ورجل فلسطيني. وقت يتيح لإسرائيل الحرّية الكاملة في تكريس سياساتها في الأراضي الفلسطينية، والإقليم بأسره. وظّفت الولايات المتّحدة المفاوضات والمقترحات الأميركية الإسرائيلية لوقف حرب الإبادة أداةً لذرّ الرماد في عيون العالم، ولتكبيل قدرة المجتمع الدولي في اتّخاذ أيّ خطوات من شأنها أن تلجم السياسات العدوانية الإسرائيلية. في المقابل، لا يمكن لأيّ متابع أو مهتمّ بالشأن الفلسطيني أن يُغفل، في التحليل، طبيعة دور الإدارة الأميركية في التسويف والمماطلة والانحياز الواضح للمطالب والمواقف الإسرائيلية كافّة، وتضمينها في رؤيتها لـ«اليوم التالي» للحرب على غزّة، التي تسعى من خلالها إسرائيل إلى حسم المسألة الفلسطينية نهائياً، من دون أن تُقدّم «تنازلات حقيقية» تجاه الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وفق قرارات الأمم المتّحدة المرفوضة إسرائيلياً. بات الدور الأميركي واضحاً في تخدير الرأي العام الدولي، وفي تبريد الإقليم، وفي لجم القوى الرافضة سياسات إسرائيل، وتجريدها من أيّ فعل مقاوم أو مُناهض، رافض للعربدة الإسرائيلية.

> أثبتت الحربُ على غزّة فشلَ الحقل السياسي الفلسطيني في تجاوز الخطر الوجودي الحالي الذي يهدد القضيّة الفلسطينية

فلسطينياً، علينا الاعتراف بأنّ المشهد السياسي الفلسطيني مأزوم، وبأنّ خلال أزمنته قد ألقت بنفسها على الموقف من الأحداث الجارية، وبات واضحاً أنّ الانقسام السياسي الداخلي الذي فشلت القوى السياسية الفلسطينية في إنهائه أو تجاوزه في مدار 18 شهراً، قد أسهم في دفع الفلسطينيين جميعهم إلى أن يكونوا متلقّين وغير مُقرّرين فيما يُحاك في الغرف المغلقة أميركياً وإقليمياً بشأن المستقبل الفلسطيني، وشكل «اليوم التالي» لحرب غزّة. (ولا يزال). غياب الرؤية الفلسطينية الموحّدة جوهر الأزمة الفلسطينية، التي تعاني من حالة الانكشاف أمام الجميع، وأثبتت هذه المقتلة والمحرقة الإسرائيلية فشل الحقل السياسي الفلسطيني في إثبات جدارته في حمل القضية الفلسطينية، وفي تجاوز الخطر الوجودي الحالي أمامها، كما كشف صحّة الدعوات السابقة إلى ضرورة تفعيل منظّمة التحرير وإصلاحها، وتفعيل أجسامها كافّة، كي تستعيد دورها التاريخي في تمثيل الشعب الفلسطيني، بمختلف أطيافه وألوانه وأماكن وجوده، وفي أن تحمل رؤية وطنية موحّدة تجمع تحت ظلالها القوى السياسية والاجتماعية، بعيداً من سياسة الإقصاء والتهميش والاستفراد، وبات مطلوباً حالياً، لكي يتمكّن «الكلّ» الفلسطيني من الاستثمار الوطني في التضحيات الكبرى، التي تُقدّم في غزّة والضفّة الغربية، التوجّه إلى مصالحة تاريخية ضرورية تعيد الاعتبار إلى البيت الفلسطيني الجامع بصفته الكيانية والتمثيلية، وتعيد معه ترتيب الأولويات والمنطلقات الفلسطينية، وتحديد الأدوات والآليات المطلوبة للتصدّي إلى محاولات التصفية الإسرائيلية، وهو ما لا يمكن تحقيقه في ضوء استدامة العقل الانقسامي المهيمن على التفاعلات والعلاقات الفلسطينية الداخلية.

لا تزال الفرصة أمامنا قائمةً لامتلاك زمام المبادرة وفرض «اليوم التالي» بمنظور وطني فلسطيني شامل، ولكنّه يحتاج منّا أن نتجاوز مُربّع الانقسام والتفرّد والإقصاء، وهذا السؤال الكبير الذي ينتظر الإجابة من «الكلّ» الفلسطيني.

(أكاديمي فلسطيني)

موسم الهجرة من إسرائيل... وإليها

دلال البزري

في مقال عنوانه «هل يمكن لإسرائيل أن تنجو من ديكتاتورية مسيانية؟»، يحاول الكاتب الإسرائيلي يوفال هراري أن يتخيّل العالم اليهودي مستقبلاً، إذا نمت «الميول الحالية» وتحوّلت إسرائيل بسببها ثيوقراطيةً. ويرى أنّه في هذه الحالة «قد يندثر التيّار العلماني اليهودي، على الأقلّ داخل إسرائيل. ففي داخل هذه الحدود سيكون نظام قهر ديني، نظام رقابة وغسل أدمغة. ساعتها لن يكون بمقدور تلك الجماعات الاستمرار في الحياة ضمن هذه الحدود، هي المتمسّكة بالتسامح والمساواة والحرّية. وكما حصل مع اليهود الذين لفظتهم إسبانيا الكاثوليكية، سيكون هناك من تسمح له إمكاناته فيهرب، وعلى من لا إمكانات لديه أن يعتنق الديانة المسيانية المتطرّفة». ويتابع أنّه في هذه الحالة سيكون هناك انشقاق بين الذين يحكمون إسرائيل اليوم ويذعنون للعقيدة الدينية، والذين يرفضونها بالمطلق» (يرى التيّار المسياني أنّ الحرب في غزّة ليست ضرورية وحسب، إنّما مطلوبة، لأنّها جزء من مخطّط إلهي لإعادة أراضي إسرائيل بأكملها إلى اليهود، وبالتالي إطلاق عملية الانبعاث، وعودة المسيح).

يأتي مقال هراري في سياق شهادات وتحقيقات تصبّ كلّها في عملية «النزول» (اليريدا بالعبري)، أي هجرة اليهود من إسرائيل، وهي عكس «الصعود» (العالية بالعبري)، أي الهجرة إليها. والعبارتان من قاموس الثقافة اليهودية للهجرة. هناك عنوان آخر، في الشهر الماضي (أغسطس/ آب)؛ «في عالم ما بعد 7 أكتوبر، لا توجد أرض ميعاد لليهود»، يتكلّم فيه صاحبه عن العوامل التي تدفع الإسرائيليين إلى الهجرة، بلغة ملؤها الحيرة والشكّ والحزن، ويقول إنّ «مذبحة السابع من أكتوبر (تشرين الأول) سمحت بتخيّل تدمير إسرائيل، ودفعت كثيرين إلى إعادة النظر بالعقد الذي أبرمه المواطن مع الدولة. وعقد الأمن هذا هو مبرّر وجود إسرائيل منذ تاسيسها عام 1948». وتتوالى شهادات، ويُذكّر تحقيق مطوّل، عن عودة فكرة «اليهودي الغريب»، بأنشطة ثقافية تدلّ على توسّع الهجرة «الثقافية» من إسرائيل، مثل تلك المجلّة الأدبية اليهودية التي تصدرها الشاعرة دوري مانور، المتخصّصة بالديالوسبورا (الشتات) اليهودي، التي تلاحظ أنّ عديدين من كتّاب اللغة العبرية يعيشون خارج إسرائيل، وأنّ جزءاً مهمّاً من الأدب العبري يُكتب ويُقرأ خارج حدود إسرائيل.

هناك ندوات في برلين ينال فيها المنفى صفة الجاذبية المتجدّدة، ثمّ ذيوع كتاب «ضرورة المنفى»، لليهودي الأميركي شول ماجيد، وهو يلتحق بكاتب آخر، دانيال بوياريم، الذي يبشّر بالمنفى منذ عشرات السنوات، ومحاولات لكتابة تاريخ تيّار المنفى ذي الجذور القديمة، ومقارنته بتاريخ اليهودية التي بدأت فكرةً، مُجرّد فكرة، مع كتّاب وشعراء أصحاب مُخيّلة. والقصد من التاريخ والمقارنة القول إنّ كلّ حركة تاريخية؛ كلّ ظاهرة تبدأ بفكرة؛ «والآن، فكرة المنفى أصبحت ملموسة، ويكفي الانتباه إليها، بدءاً من انسداد الأفق في إسرائيل، واستحالة الاستمرار بالسيطرة على ملايين الفلسطينيين محرومين من حقوقهم، واستحالة تقسيم البلاد بين دولتين، والأكثر من ذلك استحالة إقامة دولة واحدة لمواطنيها كلّهم. يبقى الحلّ هو المنفى، أي عودة اليهود إلى ما كانوا عليه طوال تاريخهم: (الحلّ هو الدلادولة)». واللائحة لا تنتهي هنا. الأطبّاء لهم أيضاً مُهاجروهم، وكذلك أساتذة الجامعات، وهي هجرة يصفها أحد الكُتّاب بـ«هجرة أدمغة، كأنّنا صرنا من بلدان العالم الثالث». وهناك أرباب العائلات، وشباب، ومقابلات شبه أسبوعية مع مسافرين قرّروا الهجرة المؤقّتة أو الدائمة. يسألهم الصحافي عن سبب خروجهم من إسرائيل، ويجيب معظمهم بشيء من الأسى بأنّهم لم يعودوا يستطيعون تحمّل قلّة الأمن، ولا الحرب، ولا ضيق العيش.

> مع استمرار الحرب على غزّة، تتضخّم في إسرائيل نسبة الداعين إلى حرب ابدية تحت راية «عودة المسيح»

يستعيد كثيرون لحظات مشابهةً قبل أكثر من سنة عشية «طوفان الأقصى»، عندما قامت الدنيا بالتظاهرات والاعتصامات احتجاجاً على مشروع بنيامين نتنياهو بالقضاء على القضاء. يقولون اليوم: «يومها، كان المعارضون يصرخون، ويهدّدون، بأنّهم سوف يهاجرون إذا نجح انقلاب نتنياهو على القضاء. ولكنّ القليلين منهم نفّذوا تهديداتهم». أمّا اليوم فالهجرة أصبحت رغبة يهودي واحد من أصل أربعة، سوف يتركون إسرائيل إذا توفّرت لهم الإمكانات، هذا ما خلص إليه تحقيق أجراه معهد سياسة الشعب اليهودي، المنشور منذ بضعة أيّام، لافتاً إلى أنّ الهجرة هي للأكثر قدرةً من بين الإسرائيليين. أشار المعهد إلى أربعة أسباب لهذه الهجرة؛ الحرب مع «حماس» تدفع غالبية ساحقة قلقةً جدّاً من هذه الحرب؛ الثقة بالحكومة تراجعت مع استمرار الحرب، فمنذ عامين كانت الغالبية تركّز على «أخلاقيات» وصارت اليوم تُؤكّد على المصلحة أولويّةً، والأخلاق في الخلف؛ اهتزاز الثقة بالجيش، فرغم أنّه الأقلّ تعرّضاً للنقد، لكن الثقة بقادته تراوح بين ضعيفة وضعيفة جدّاً؛ والانقسامات، منها بخصوص الرهائن بين وسطيين و«يساريين» يعطون الأولوية لتحرير الرهائن، وبمينيين يضعونه خلف أولوية مطلقة واحدة، هي سحق «حماس»، والانقسام نفسه حول الائتلاف لأميركا الحليفة مع يمين لا يُلغي التحالف، ولكنّه يرفض «الإذعان» لوجهة النظر الأميركية، والانقسام بشأن تجنيد «الحسيديم» (دارسي التوراة) في الجيش، وانقسام يخصّ موضوعنا، أي الرغبة في الهجرة من إسرائيل، المرتفعة في وسط اليهود 4% لدى اليهود المتدينين.

في المقابل، هناك يهود يقومون بـ«العالية» أي يهاجرون إلى إسرائيل، وهم من المعسكر الديني المسياني. قبل الطوفان»، ولدى اندلاع حرب روسيا على أوكرانيا، هاجر إلى إسرائيل عشرات الآلاف من الأوكرانيين والروس، هي الهجرة الإنسانية الحيّة للبيض المتديّن المسياني. الآن، يكاد عدد هؤلاء القادمين الجدد إلى إسرائيل يتساوى مع عدد المهاجرين منها. عشرات الآلاف من اليهود ولدوا وعاشوا في أميركا والغرب الأوروبي، وضاق هناء العيش بهم، وتزايدت من حولهم الميول اللاسامية، والعداء للصهيونية، ويخشون انهيار الديمقراطية الغربية، التي وحدها حمت اليهود في العصور الماضية (وهو خوف تاريخي)، ومن حولهم متضامنون تماماً مع إسرائيل في حربها على الفلسطينيين... هذا كلّه دفعهم إلى المجيء.

يقول العائدون إلى إسرائيل عن رحلتهم هذه إنّ المنفى الذي يدعو إليه المهاجرون منها ليس سوى تمرين عقلي «قليل الجدية»، وإنّ إسرائيل ليست فكرة مجرّدة يمكننا التخلّي عنها لغرض أكاديمي، وإنّ بعض «مفكّري المنفى» يبدو أنّهم يصدر تصفية حساب شخصي أدبيي (عقدة أوديب) غير سياسي مع أهلهم المتجذّرين في «الاستيطنستن الصهيوني»، غالبيتهم لا يملكون جواز سفر أو وظيفة في إحدى الجامعات الأميركية المرموقة، وفكرتهم عن المنفى «تشبه رؤية الملياردير الأميركي إيلون ماسك بالاستيطان في كوكب المرّيخ إنقاذاً للبشرية». وصارت اليوم تُؤكّد على المصلحة أولويّةً، والأخلاق في الخلف؛ اهتزاز الثقة بالجيش، فرغم أنّه الأقلّ تعرّضاً للنقد، لكن الثقة بقادته تراوح بين ضعيفة وضعيفة جدّاً؛ والانقسامات، منها بخصوص الرهائن بين وسطيين و«يساريين» يعطون الأولوية لتحرير الرهائن، وبمينيين يضعونه خلف أولوية مطلقة واحدة، هي سحق «حماس»، والانقسام نفسه حول الائتلاف لأميركا الحليفة مع يمين لا يُلغي التحالف، ولكنّه يرفض «الإذعان» لوجهة النظر الأميركية، والانقسام بشأن تجنيد «الحسيديم» (دارسي التوراة) في الجيش، وانقسام يخصّ موضوعنا، أي الرغبة في الهجرة من إسرائيل، المرتفعة في وسط اليهود 4% لدى اليهود المتدينين.

في المقابل، هناك يهود يقومون بـ«العالية» أي يهاجرون إلى إسرائيل، وهم من المعسكر الديني المسياني. قبل الطوفان»، ولدى اندلاع حرب روسيا على أوكرانيا، هاجر إلى إسرائيل عشرات الآلاف من الأوكرانيين والروس، هي الهجرة الإنسانية الحيّة للبيض المتديّن المسياني. الآن، يكاد عدد هؤلاء القادمين الجدد إلى إسرائيل يتساوى مع عدد المهاجرين منها. عشرات الآلاف من اليهود ولدوا وعاشوا في أميركا والغرب الأوروبي، وضاق هناء العيش بهم، وتزايدت من حولهم الميول اللاسامية، والعداء للصهيونية، ويخشون انهيار الديمقراطية الغربية، التي وحدها حمت اليهود في العصور الماضية (وهو خوف تاريخي)، ومن حولهم متضامنون تماماً مع إسرائيل في حربها على الفلسطينيين... هذا كلّه دفعهم إلى المجيء.

يقول العائدون إلى إسرائيل عن رحلتهم هذه إنّ المنفى الذي يدعو إليه المهاجرون منها ليس سوى تمرين عقلي «قليل الجدية»، وإنّ إسرائيل ليست فكرة مجرّدة يمكننا التخلّي عنها لغرض أكاديمي، وإنّ بعض «مفكّري المنفى» يبدو أنّهم يصدر تصفية حساب شخصي أدبيي (عقدة أوديب) غير سياسي مع أهلهم المتجذّرين في «الاستيطنستن الصهيوني»، غالبيتهم لا يملكون جواز سفر أو وظيفة في إحدى الجامعات الأميركية المرموقة، وفكرتهم عن المنفى «تشبه رؤية الملياردير الأميركي إيلون ماسك بالاستيطان في كوكب المرّيخ إنقاذاً للبشرية». وماسك سوف يعيش بعد كوارث الأرض، «ولكن ماذا عنّا؟ عن البقية؟». ويتابع المتحمّسون للعودة إلى إسرائيل: إنّ دعاة المنفى «فريدين، خصوصيون، نُخبويّون، ومن النُّخْبة المتعلّمة. واهتمامهم كلّه مُنصبّ على أنفسهم وعلى عائلاتهم ... لا يؤمنون بالعمل الجماعي».

هذا غيض من فيض نقاش خلفي يدور في إسرائيل، ولا يُراد له ربّما لُفّت الأنظار لأن تكون إسرائيل اليوم بصدد تبديل سكّانها من فئات إلى أخرى، بين مُعندلين، سلميين، علمانيين، يرحلون عنها، ويُستبدلون بمشيانيين جدد، ويستقبلهم أقرانهم بالترحاب والتسهيل، وتتضخّم هكذا مع الوقت، ومع استمرار الحرب، نسبة الداعين إلى حرب أبدية باسم الدين الخالص الصافي، من دون اجتهادات ولا «إصلاحات»، وتحت راية «عودة المسيح».

وهذه رؤية لها نظيرها عندنا. إنّها ظهور المهدي، أو المهدي الذي لا يمكن انتظاره بالقعود، إنّما بالسيف والدماء. ويبدو أنّ «حماس» دخلت في سكّة هذا الانتظار، ولا تتوقّع بعد ذلك غير الحشود المؤمنة بالموت في الحرب حتّى نهاية الزمان.

(كاتبة لبنانية)

التنافس على أفريقيا يُقدّم درساً للعرب

سامر خير أحمد

انتهت الدورة التاسعة لمنتدى التعاون الصيني الأفريقي قبل أيّام في بكين، بإعلان مشاريع تنموية ستنفّذها الصين في دول القارّة، بنحو 51 مليار دولار، نصفها قروض، بينما يتوزّع نصفها الآخر بين مساعدات واستثمارات تنفّذها الشركات الصينية. وتستثني تلك المشروعات مملكة إسواتيني لأنّها تعترف بتايوان. وتنفّذ الوعود الصينية التي شملت مشروعات للبنى التحتية والطاقة المُتجدّدة تُنفّذ في مدار ثلاث سنوات؛ أي حتّى موعد انعقاد الدورة العاشرة للمنتدى، الذي أُعلن عام 2000، ودفع العلاقات الصينية الأفريقية إلى مستوىً متقدّم أفرز الولايات المتّحدة، حتّى راحت تُغدق الوعود على القارّة خلال آخر سنوات في إطار مساعيها لمحاصرة نفوذ الصين دولياً، فقدّمت، عشية انعقاد الدورة الثانية من القمّة المماثلة في 2023، تمثّل 47% من واردات الصين الإجمالية للنفط الخام. ونفّذت بكين مشاريع عدّة للبنى التحتية في الدول العربية، مثل المبنى الأيقوني في العاصمة الإدارية المصرية الجديدة، الذي يُعدّ أعلى مبنًى في أفريقيا، والطريق السيّار الذي يربط شرق الجزائر وغربها بطول 1200 كيلومتر، وجسر محمد السادس في المغرب، وهو أكبر جسر مُعلّق في القارّة. وعقب القمّة الصينية العربية في الرياض أواخر عام 2022، متزامنةً مع القمّة الصينية الخليجية، والقمّة الصينية السعودية، توسّعت مجالات التعاون إلى حقول غير تقليدية، مثل الابتكار التكنولوجي، والتحوّل الصناعي، والتنمية الخضراء، بينما كان التعاون العربي الصيني محصوراً في العقدين الماضيين في مربّع التجارة؛ تستورد الصين من العرب النفط والمواد الخام، وتصدّر إليهم كلّ شيء.

> الدرس الأفريقي للعرب، في العلاقة مع الصين، أنْ يتصرّفوا كتلةً واحدةً كي يُحقّقوا فوائدَ أكبر

قاعدة «الربح المشترك»، التي تجعلها بكين شعاراً لتعاونها مع الآخرين، على الضدّ ممّا تقول إنّه السلوك الغربي لتقديم المساعدات والمشاريع المشتركة، الذي يقوم على التدخّل في الشؤون الداخلية لدول المعالم، وفرض النموذج القيمي الغربي عليها.

الدرس الأفريقي للعرب، في العلاقة مع الصين والعالم، مفاده أنْ يتصرّفوا كتلة واحدة كي يُحقّقوا فوائد أكبر. صحيح أنّه درس قديم في مجال السياسة، لكنّه يتجدّد اليوم في مجال التنمية.

(كاتب من الأردن)

بوريل غير المرحّب به في إسرائيل

زياد بركات

«العربي الجديد»... نهاية العشرية الأولى وبداية الثانية

كمال عبد اللطيف

عندما نشرْتُ مقالتي الأولى في صفحة الرأي في «العربي الجديد» (3 إبريل/ نيسان 2014)، تحت عنوان «العربي الجديد... أفق وطريق»، كنت أتصوّر أنّ عروبة المستقبل تفتح نافذةً جديدةً في عالم يتغيّر بإيقاع سريع. وقد تمكّنتْ الصحيفة من رسم المعالم الكُبرى لهذا الأفق، كما رسمتْ، طوال السنوات التي توالت منذ تأسيس موقعها الإلكتروني وصحيفتها الورقية، الخطوطَ الكُبرى لإعلام المستقبل. وقد حرصْتُ في سنوات العشرية الأولى على متابعة بعض ما يُنشَر فيها، كما حرصْتُ على العناية بكيفيات نظر مُحرِّريها إلى عشرات الوقائع والظواهر بأعينٍ تضع الأفقَ العربي في الصدارة، وترى في التحوّلات الجارية ما يسمح بإمكانية تحقيق المشروع النهضوي العربي. رسمَتْ الصحيفةُ خطواتها الأولى في دروب عربية ودولية وعرة وُلِدَتْ زمن الثورات العربية، عاينت تناقضاتها، وواجهَتْ الآراءَ المتصارعةَ في قلبها. اختار بعضُ كُتّابها الدفاعَ عن خيارات بعينها، ولم يتردَّد الطاقم المُشرِف في فتح زوايا صفحاتها لمختلف الأصوات في مختلف الأقطار العربية. لم تكن طرقها مُعبَّدةً دائماً، بل كانت، في أحيانٍ كثيرة، مليئةً بالصخور والنتوءات القادرةً على وقف الطموحات وتأجيج التناقضات، فحُجِب الموقع، كما حُوصِرت بعض أعداد الصحيفة، إلّا أنّها حرصَتْ، بفضل جهود الطاقم المُشرِف عليها، أن تبقى أفقاً مفتوحاً على إعلام جديد، وبمهنية عالية، إعلام يستند إلى مُقدّمات عروبةٍ جديدةٍ في طور النشوء والتشكّل، عروبة مختلفة عن عروبة القرن الماضي، عروبة رافعة ألوية «العربي الجديد»، ومسلّحة بمقوّمات التحرّر والنهوض العربيَين.

واجهت «العربي الجديد» مختلفَ التحوّلات التي عرفتها بلدان عربية كثيرة، وانخرط إعلامها في معاركَ تروم مقاومةَ الاستبداد والفساد، كما واجهت تركةَ الصراع الصهيوني الفلسطيني العربي، بالآثار والمخلّفات كلّها التي أُنتِجت، وبصور المقاومة وصور التخاذل كلّها التي وقعت، وانخرطت في كثير من القوّة مُحاولةً تشخيص العدوان الصهيوني الغربي، كما حاولت كشفَ صور التراجع الحاصلة في الوطن العربي نتيجةَ انتعاش أشكال جديدةٍ من التطبيع، واستمرار الانقسامات في محيط قوى التحرّر الفلسطينية، وآثار ما ذكرنا كلّه في مسار أفق ومشروع التحرّر والتحرير الفلسطيني. وتُقدّم الملفّات المخصّصة لتحوّلات القضية الفلسطينية، ومقالات الرأي في موضوع المقاومة الجديدة في «طوفان الأقصى»، مجموعةً من المعطيات الكاشفة لدرجات عنايتها بالمشروع الوطني الفلسطيني.

> تعكس مواقفُ «العربي الجديد» اعترافاً بالانهيار العربي، وتطلّعاً إلى تجاوز مظاهره نحو التحرّر والتقدّم

وجدَتْ الصحيفة نفسها يوم صدورها في قلب مُعترَكِ حَراكٍ اجتماعيٍّ يملأ مجتمعات عربية عديدة، فبلدان عربية سقطت أنظمتها الاستبدادية ولم تنجح قواها الحيّة في بناء مواثيقِ المرحلة الانتقالية بمتطلّباتها السياسية والقانونية كلّها، وبلدان عربية أخرى لم تكن قادرةً على الانفجارات التي مزّقت كيانها، وفتحت الباب للقوى الإقليمية والدولية المتربّصة بها، بحسابات التاريخ والسياسة، في عالم اهتزّت فيه قيمٌ كثيرة. وقد ترتّب من المشار إليه اختفاء أفق العروبة بما يمكن أن يحمله من جوامعَ تتيحُ إمكانيةَ استئناف النهوض العربي، واستئناف السير نحو أهدافٍ مُحدَّدة. ولأنّ الاستعمار عاد بصور أخرى إلى عالمنا، فقد كان لا بدّ لـ«العربي الجديد» أن يقول كلمته. ولا بدّ من التوضيح أنّ روح العروبة المُستوعَبة في إعلام الصحيفة ونظام عملها لا تحضر بصورة عقائدية أو دعويّة، بل تحضر أفقاً في طور التأسيس، وأفقاً تحكمه الطموحات والتطلّعات، وترسم معالمه الكُبرى المُقدّماتُ اللازمةُ لبناء إعلامٍ جديدٍ يكون بإمكانه تجاوز أخطاء الماضي والتعلّم منها، من أجل عروبة يكون بإمكانها مغالبة مختلف أوجه التحوّلات الجارية في عالم جديد.

في ضوء الأحوال التي رسمنا، ونحن نُعاين مسارات «العربي الجديد» ودروبها، اكتشفنا أنّ صوتها لم يتوقّف، طوال سنوات العشرية المنتهية، عن الاعتراف بالانهيار الحاصل في بلدان عربية عديدة، ولم تتوقّف أيضاً عن إعلانها عدم التفريط في الطموحَين الكبيرَين للعروبة؛ التحرّر والتقدم. وقد عبّر كُتّاب الصحيفة، وفي أغلب أبوابها ونوافذها وملفّاتها وملحقاتها، عن جوانب عديدة من أبعاد هذَين الطموحَين، ما منح حضورها سمةَ الارتباط بأسئلة ومخاضات الراهن العربي بأصوات ومفردات مختلفة. ولأنّ العروبة في الصحيفة بمثابة أفق، فقد ظلّت حريصةً على عدم استسهال موضوع التفكير في أسئلة الحاضر العربي، والتفكير في مشروع النهوض العربي، متوخّيةً من وراء ذلك عدم تكرار أخطاء الماضي. ومن هنا عنايتها بمختلف الأصواتِ والمواقف المتفاعلة داخل فضاءات الرأي العام في المجتمعات العربية.

نتصوّر أنّ «العربي الجديد» تُعدّ اليوم شاهداً على الانهيار الكبير الذي لحق بمشروع النهوض العربي، ونحن نقرأ في متابعاتها المتواصلة لأحوال المجتمعات والأنظمة السياسية العربية ما يمكن إدراجه ضمن التشخيصات والمعاينات الهادفة إلى معرفة ما يجري في الواقع العربي. كما يمكن النظر إلى محتوياتها السياسية والثقافية من زاوية أخرى، تتمثّل في أنّها تحمل تعبيراتٍ ومواقفَ متعدّدةً، تعكس بصورة متنوعة رؤية بعض مُحرّري صفحاتها للطموح العربي المتطلّع إلى تجاوز مظاهر وتجلّيات الانهيار، من أجل أن يكون للعرب اليوم طريق يؤهّلهم لحضور فاعل ومتفاعل مع عالم جديد. ولا يتعلّقُ الأمرُ هنا بازدواجية أو تناقض في التعبير عن الأحوال العربية، بل إنّه يُبرز نوعيةَ التفاعل الذي أقامته الصحيفة مع وطن يحلم بأن يكون له حضور مستقلّ وفاعل، في عالم مُعقّد ومتصارع.

تحتفي الصحيفة بالمقاومة الفلسطينية في مختلف أبعادها، تعرف جوانب من أشكال الخلل الناتجة من اتفاق أوسلو (1993)، وأوضاع السلطة الفلسطينية في الضفّة والقطاع، وفي غزّة. ونقرأ يومياً في أبوابها وأعمدتها ما يشير إلى تحوّلات كثيرة جارية في أرض فلسطين المحتلّة. تتغنّى الصحيفة بالتحرير، وترفع شعارات المشروع الوطني الفلسطيني، ويواصل الموقع الإلكتروني اتّساعه بفضل تطوّر وسائل وتقنيات التواصل والإعلام. وقد أصبح الأفق الذي رُسِمَ قبل عشر سنوات أكثر ضياءً، إنّه اليوم مسافةٌ تقع في مرمى البصر، إلّا أنّها ليست قريبةً، وهي تتطلّب جهوداً مستميتةً لتساهم في عملية مواجهة مختلف التحدّيات ومختلف الهزائم، ومواجهة قيود الماضي والحاضر، وكذلك مختلف التراجعات التي حصلت في آخر سنواتٍ، إذ يمكن أن تساهم في مزيدٍ من تحويل الأفق الذي أمامنا اليوم أفقاً أكثرَ تاريخيّةً وأكثرَ وضوحاً.

(أكاديمي مغربي)

حين تحتلّ طهرانُ عاصمةَ الأمويين

أيمن الشوفي

حدث أنْ غَمَرَ طوفان «الشمولية» الفضاءَ العام في سورية، وذاك تدبير سلطوي قاسٍ شيّدته وحرسته مدرسة الأسد بنسخة الأب ثمّ نسخة الابن، أكثر من نصف قرن، وحرصت أن يكون هذا الغَمْر الشمولي مكتظّ الدلالات وشديدَ اللزوجة في آن، بحيث يصعب انتشال المجتمع من تحت ركام النمطية والامتثالية في الاستجابة وردّة الفعل.

فنظام الحكم في سورية، والحالُ على هذا النحو، إنّما استأثر بصفة العداء التامّ للفضاء العام، جاعلاً من المجتمع خصماً مكتملَ الدلالة حينما ينحدرُ من ضفّةٍ غير التي ينحدر منها هذا النظام، فاستوجبَ ذلك أن تُعادي السلطةُ في سورية المجتمعَ، وأن تحرص على تصفيته تدريجياً، وهذا صار نافذاً بالفعل من خلال جيش النظام، وأجهزته الأمنية. لكنّ تسلّل السلطة إلى الفضاء العام، والاستحواذ عليه بهذه الطريقة، جعلا من الخمول صفةً ملتصقةً بالفعل الاجتماعي ضمن مُحدّداتٍ يدركها الجميع من مصادرة المبادرة الفرديّة قيمةً، وإتلاف المواطنة مضموناً، الأمر الذي أعاد تشكيل الشخصية العامّة للمجتمع وفق التصوّر الذي يريده النظام، أيّ تكريس الشخصية المهزومة، المدجّجة بقلّة الاكتراث، والمُغالِية في الطاعة العمياء، وهذا أخّر نحوٍ واسع، وإخراجه من دائرة النُخْبَوية السياسيةِ المُعارِضة، وفي ذلك اجتهاد لتفكيك الشخصيةِ النمطية العامّة، ومن ثمّ محاولة إعادة تكوينها مُجدّداً خارج أسوار مدرسة الأسد.

> ورث التجّار ورجال الأعمال الدمشقيون براغماتيةً تُبرِّر تقبّلهم المكاسب الماديّة في مقابل استبعادهم الصدامَ مع السلطة القائمة

اعتبر إي سنغ مان، الذي صار أوّل رئيس لكوريا الجنوبية، في كتابه «اليابان من الداخل إلى الخارج» (1941) أنّ الشمولية التي اتّصف بها نظام الحكم الياباني في ذلك الوقت، أثناء سيطرته على عدة دول آسيوية، هي حالة معارضة العالم الديمقراطي، إذ للأفراد أهمّية أكبر من المجتمع نفسه، وهذا نزرٌ يسيرٌ من الاستلهامات التي غزت عقلي حافظ الأسد وابنه (بشّار) في حكم سورية، كما كان ينبغي للباحثة اليهودية في السياسة، حنة أرندت، أن تتريّث كثيراً في تأليف كتابها «أصول الاستبداد» (1951)، لتتعرّف إلى التجربة الأسدية في تكريس الاستبداد والشمولية وإلغاء المجتمع، فهذه مدرسةٌ تفوّقت كثيراً على نظيرتيها، النازيّة والستالينيّة، اللتين كانتا تفاصيلهما تجوب أرجاء كتاب أرندت ذاك. لكن، ما علاقة إعادة توصيف نظام الحكم في سورية باحتلال طهران دمشق، عاصمة الأمويين؟

وُقّعت يوم الخميس (5 سبتمبر/ أيلول الجاري) اتّفاقيّتا تعاون وتوأمة بين دمشق وطهران، وبحسب وسائل إعلام النظام السوري، ستشملان قطاعات مثل السياحة الدينية والعلاجية والأتمتة والإلكترونيات والنقل ومعالجة النفايات الصلبة، ووقّعهما كلٌّ من رئيس بلدية طهران، علي رضا زكاني، ومحافظ دمشق محمد طارق كريشاني، غير أنّ ما اتُّفِق عليه إنّما يُكرّس في جوهره مزيداً من النفوذ الإيراني الشره داخل العاصمة دمشق، التي باتت تغوص في التشيّع في مشهدٍ بصريٍّ فسيح يسهل الاستدلال على محتواه. أيضاً، من شأن اتفاقية التوأمة تلك أن تجعل من دمشق (قدر المستطاع) نسخةً معلولةً من عاصمة النظام الإيراني. ألمْ يُغرّد المرشد الأعلى للنظام الإيراني، علي خامنئي، في «إكس» (25 أغسطس/ آب الماضي)، أنّ المعركة بين الجبهتين، الحسينيّة واليزيديّة مستمرّةٌ، ولا نهاية لها؟ أليس في تلك التوأمة المزرية رائحةُ معركة تخوضها عقيدة الحرس الثوري الإيراني بدلالاتها الهذيانيّة ضدّ المكان؟ ... والمكان هنا دمشق بإرثها الأموي، حين كانت عاصمةَ الخلافة الإسلامية في ما مضى (662 – 750). أمّا المُؤثّر في مسألة التوأمة، التي أُقرّت أخيراً، فهو انغماس الدمشقيين بالسكوت، وتدثّرهم باللامبالاة، معطيات يمكن قياسها واقعيّاً، فقلّة اكتراثهم بما تؤول إليه مدينتهم من تشيّع عبر الغزو الإيراني المستمرّ لها، هو دليلٌ على بقائهم داخلَ منظومة الشخصية النمطيّة المُهادنة، أحدّ أبرز منجزات مدرسة الأسد الشمولية، وحتّى نكون منصفين أكثر، ينبغي عدم التقليل من سطوة النظام السوري على العاصمة، ومحاصرتها بمنظومةٍ أمنيةٍ مُرعِبةٍ للكيان الاجتماعي العام، كما أنّ طبقة التجّار ورجال الأعمال الدمشقيين، بوصفهم بقايا للبرجوازيّة الشاميّة العريقة، وجدوا أنفسهم مضطرّين للاندماج بنظام الأسد الشمولي، منذ تَجذّر ابتداءً من سبعينيّات القرن الماضي، في مقابل حصولهم على امتيازاتٍ معروفة، ذات طبيعة اقتصاديّة، إذ إنّهم يراعون هنا براغماتيةً متوارثةً تُبرِّر تقبّلهم المكاسب الماديّة في مقابل استبعادهم الصدامَ مع السلطة القائمة، فكيف إذا كانت سلطةً مرعبةً كالتي أسّسها حافظ الأسد، وورثها ابنه عنه في حكم سورية؟!

ذلك كلّه يُصعّب نشوبَ صدامٍ بين سكّان العاصمة والسلطة القائمة، حتّى إنْ كانت هُويَّة مدينتهم مُهدَّدةً بالانتهاك والاستبدال بأخرى بفعل ممارسات الاحتلال الإيراني البلاد، فطهران تريد احتلال دمشق، وجعلها مدينةً قبيحةً لا تُطاق، إذ كانت الشمولية التي تربّت بيد حافظ الأسد، وابنه، كفيلةً بجعل المجتمع السوري راكداً، لا يقوى على إنكار فعل السلطة، أو مجابهته، إلا في ما ندر، ومثالُ ذلك ما حدث من فعل ثوري بعد العام 2011، لكنّه يبدو غيرَ كافٍ لإنقاذ عاصمة دولة بني أميّة، من التشيّع والاندثار.

(كاتب سوري)

هل يذهب الشمال السوري إلى الانفجار؟

أحمد مظهر سعدو

كَثُرَ الهرجُ والمرجُ أخيراً، بين أوساط المعارضة السورية، خصوصاً بعد انعقاد الاجتماع الكبير (والمهمّ) في إحدى قاعات مطار ولاية غازي عنتاب التركية في الثالث من الشهر الماضي (سبتمبر/ أيلول)، وضمّ معظم الفصائل المسلّحة السورية المُعارِضة، ومعها هيئة التفاوض السورية، والائتلاف الوطني لقوى الثورة والمُعارَضة، برعاية استخبارات تركيا وخارجيّتها. ويبدو أنّ هذا الهرج والمرج انبثقا بالضرورة من جملة الخلافات الشاقولية، ومن حالة التشظّي والتذرّر، التي تمظهرت خلال الاجتماع المشار إليه بشكل واضح وفي العلن، وهي التي كانت قبل ذلك تحت السطح. ذلك كلّه جرى تحت سمع الأتراك ونظرهم، وما قيل من أنّ هناك انتقادات كُبرى وُجّهت إلى الائتلاف وهيئة المفاوضات، وكان الأكثر منها، والأكثر عمقاً، ما وجّه إلى الحكومة السورية المُؤقّتة، الممثّلة بشخص رئيسها عبد الرحمن مصطفى، وإلى أدائها المُتهالِك، وقيل إنّ الجميع قد وضع استقالته على الطاولة خلال الاجتماع، خلا رئيس الحكومة المُؤقّتة، الذي أصرّ على تحميل الآخرين (من بكل تشكيلاتها، ومن ثمّ (بالضرورة) أداء الحكومة المُؤقّتة، إنّ ما جرى يفيد بوضوح بأنّ هناك أشياء وأشياء كثيرة ما برحت تعتمل تحت السطح، منذ مدّة طويلة، وأنّ المسألة ليست بالشكلانية الظاهرة، بل إنّ «القلوب مليانة»، كما يُقال. ويعود ذلك إلى أمور عديدة، منها:

> هل أصبحت احتمالات إطاحة المُعارَضة الرسمية، ومعها الحكومة السورية المُؤقّتة، قاب قوسين أو أدنى من الفعل العملاني؟

إنّ صراعاً طويلَ الأمد ظهر وتمظهر في السطح خلال السنوات الماضية بين الفصائل المسلّحة بكثرتها والحكومة المُؤقّتة والائتلاف الوطني، خصوصاً أنّ الحكومة المُؤقّتة قد راحت أخيراً تُقرّب منها بعض الفصائل، وتُبعد أو تبتعد عن فصائل أخرى. علاوة على أنّ الخلاف المالي أصبح كبيراً وواسعاً، وما يأتي مالياً من المعابر بمئات آلاف الدولارات قد يكون السبب الأساس في ظهور هذا الشرخ، الذي راح يتّسع ويكبر باطراد خلال السنوات المنصرمة. كذلك إنّ خواء وزارة الدفاع في الحكومة السورية المُؤقّتة، وعدم قدرتها على لمّ الصفوف لتنضوي الفصائل المسلّحة جميعها تحت راية عبد الرحمن مصطفى، وحكومته المُؤقّتة، بات خللاً غير منطقي وغير مقبول، فكيف لحكومة يُفترَض أنّها تمثّل الشارع السوري المُعارِض لا تملك من أمر العسكرتاريا في الفصائل أيّ شيء، حتّى إنّها لم تعد تمون على أحد، ووزارة دفاعها خلّبية شكلية، لا أملاك لها، ولا وجود، في كثير من مناطق الشمال السوري وأريافه.

بالإضافة إلى أنّ موقف الحكومة السورية المُؤقّتة البائس والملتبس (والمعادي أحياناً) من حَراك واعتصام الكرامة في أعزاز، وتهديداتها المستمرّة له، من أجل لجمه وإنهائه، يُعدُّ سبباً كافياً لانفضاض الشارع السوري المُعارِض عنها، واستغلال ذلك من بعض الفصائل التي راحت تُؤيّد الاعتصام من أجل مناكفة الحكومة السورية المُؤقّتة، وسحب البساط من تحتها، وإشعارها بأنّها ما زالت بعيدةً من الشارع الشعبي السوري، الذي يُحاكي في اعتصامه وحراكه المتواصل منذ بداية يوليو/ تمّوز 2024، حَراك وانتفاضة السويداء وجبل العرب، ويتقاطع معهما، بينما ما انفكّت الحكومة السورية المُؤقّتة تغرّد خارج السرب بعيداً، وتبتعد في رؤيتها ونظرها عمّا يجري في السويداء.

وتبقى مسألة اللافاعلية والجمود للمُعارَضة السورية الرسمية، وخسارتها شعبيتها كلّياً، ما أوجد صراعاً مهمّاً داخلها، يعود في رؤيته إلى أنّ هناك من هم داخل المُعارَضة، ممّن لا يزالون يُعوّلون على الشارع السوري، وبعض الفصائل مهما اختلفوا معها، ومهما تعثّرت اللقاءات بينهما. لعلّ المسألة ما زالت تتأطّر في سياق الخلافات الكلامية والورقية والبيانات، ولم تصل بعد إلى حالة التضادّ والمواجهة المباشرة، وإن كان ذلك قد لا يكون بعيداً البتّة من احتمالات عبور النفق، وفتح باب الاقتتال الداخلي، وهو ما سبق وحصل غير مرّة بين الفصائل لأسباب واهية، ولخلافات هي أقلّ بكثير ممّا يحصل حالياً. ومع ذلك، يظلّ السؤال وارداً: هل أصبحت احتمالات إطاحة المُعارَضة الرسمية، ومعها الحكومة السورية المُؤقّتة، قاب قوسين أو أدنى من الفعل العملاني؟ أم ما زال باب الأمور والمسارات مواربةً، وما زالت احتمالات الوصول إلى حلّ ما ممكنةً وقابلةً للتنفيذ، في ظلّ صمت مطبق من الصديق القوي والمُشرف على كلّ شيء في الشمال السوري، وهو الصديق التركي، المنشغل كما يبدو في قضاياه الداخلية والاقتصادية والأمنية، وما يتبيّن من انشغاله في كيفية الوصول إلى الخروج من عنق الزجاجة، وتوقيع تفاهم تطبيعي ما في موسكو مع نظام بشّار الأسد أواخر شهر سبتمبر/ أيلول الحالي (كما جرى الحديث عنه)؟

(كاتب سوري)

العربي الجديد
www.alaraby.co.uk
تصدر عن شركة فضاءات ميديا ليميتد (Fadaat Media Ltd)

رئيس التحرير معن البياري ■ مدير التحرير ارنست خوري ■ المدير الفني إميل منعم ■ السياسة جمانة فرحات ■ الاقتصاد مصطفى عبد السلام ■ الثقافة نجوان درويش ■ منوعات ليال حداد ■ المجتمع يوسف حاج علي ■ الرياضة نبيل التليلي ■ تحقيقات محمد عزام ■ مراسلون نزار قنديل

المكاتب
■ المكتب الرئيسي، لندن
Ealing Cross, Second floor, 85 Uxbridge Road, London, W5 5TH
Tel: 00442045801000
■ مكتب الدوحة
الدوحة ـ برج الفردان ـ لوسيل ـ الطابق الـ 20 ـ
هاتف: 0097440190600
■ مكتب بيروت
بيروت ـ الجميزة ـ شارع باستور ـ بناية west end 33
هاتف: 009611567794 - 009611442047
■ البريد الإلكتروني: info@alaraby.co.uk
■ للاشتراكات: alaraby.co.uk/subscriptions
هاتف: 97440190635+ جوال: 97450059977+
■ للإعلانات: alaraby.co.uk/ads